من الشرق البعيد... ضوءٌ يُلهِم العالم

كلمة أُلقيت في حفلٍ خاصّ بدعوةٍ من **سفارة جمهورية الصين الشعبية في لبنان**، لمناسبة المشاركة في **الدورات التدريبية التي تنظمها وزارة التجارة الصينية** للبلدان النامية.

سعادة سفير جمهورية الصين الشعبية لدى لبنان السيد وانغ كيجيان،

السيدات والسادة الحضور،

تحيّةً معطّرةً بعبير الخيزران والصنوبر، ممزوجةً بطعم الشاي الأخضر الصيني، أبعثها إليكم فرداً فرداً، مفعمةً بالتقدير والمودّة.

قديماً، كانت العرب تقول: "**اطلب العلم ولو في الصين**"، دلالةً على أن العلم غايةٌ تُطلب ولو في أقصى الأرض، لأنه مفتاح الرقيّ وسبيل النجاة. كانت الصين يومها رمزاً لبعد المسافة ومشقة الوصول. أما اليوم، وقد غدا العالم قرية صغيرة وبات الوصول إلى أبعد نقطة على الأرض أمراً ميسوراً، فإنّ الصين تظل مقصدًا يستحقّ أن تُشدّ إليه الرحال، لا لبعدها هذه المرّة، بل لذاتها و**لعظمة تجربتها**؛ تجربةِ أمةٍ استطاعت أن تحقّق ما كان يُظنّ بالأمس من ضروب المستحيل. وأن تكتب لنفسها فصلاً جديداً في تاريخ الإنسانية، عنوانه الإرادةُ والعلمُ والعملُ الدؤوب.

سعادة السفير،

لقد كان من دواعي سرورنا المشاركة في الدورات التدريبية التي عقدت في مدن عدة من الصين بدعوةٍ كريمةٍ من وزارة التجارة في جمهورية الصين الشعبية. إن هذه المبادرات تمثل جانباً من الرؤية الإنسانية العميقة التي تنتهجها الصين في تعاونها مع البلدان النامية، وهي انعكاسٌ حيٌّ لشعورها الراسخ بالمسؤولية تجاه العالم، وتجسيدٌ عمليٌّ لمفهوم "**بناء مجتمع بشري ذي مستقبلٍ مشترك**" الذي طرحه فخامة الرئيس **شي جينبينغ** في قمة الأمم المتحدة عام 2015. وليس هذا المفهوم شعاراً سياسياً عابراً، بل هو امتدادٌ أصيلٌ لقيمٍ ضاربةٍ في جذور الحضارة الصينية، حيث يتّحد الفكر الإنساني بالتقاليد الأخلاقية في رؤيةٍ كونيةٍ رحبة.

أيها الحضور الكريم،

حين نطلق على الصين وصف "**دولة استثنائية**"، فإننا لا نبالغ في القول، بل نقرّ بواقعٍ مشهود. فمنذ

اعتماد سياسة الإصلاح والانفتاح قبل أربعة عقود، تحوّلت الصين – في زمنٍ قياسيٍّ – إلى ثاني أكبر اقتصاد في العالم، ونجحت في انتشال أكثر من ستمئة مليون إنسانٍ من براثن الفقر.

لقد أنجزت الصين في أربعين عاماً ما احتاجت إليه أوروبا وأمريكا قروناً من الزمن، فكانت تجربتها درساً للأمم، وإلهاماً لكلّ من يسعى إلى النهوض ببلاده من التخلف إلى التنمية. ولذلك، فإنّ على الدول النامية أن تتأمّل هذه التجربة الرائدة لا لتقلّدها، بل **لتستلهم منها روحها** :روحَ العمل الدؤوب، والتخطيط البعيد، والاتحاد حول المصلحة الوطنية العليا.

أيها الأعزاء،

إنّنا في لبنان، بما نمرّ به من أزماتٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ خانقة يجب ألا نغفل عن جوهر المشكلة. المشكلة ليست في قِلّة الإمكانات، بل في طبيعة النظام ومنهج التفكير. إنّ طريق الخلاص، كما يراه الكثيرون، يبدأ بإقامة **الدولة المدنية** القائمة على العدالة الاجتماعية، وبمحاربة الفساد، وبالانفتاح على التجارب الناجحة في العالم، وفي طليعتها التجربة الصينية التي أثبتت أن الإرادة الواعية قادرةٌ على تحويل المستحيل إلى واقع.

وفي الختام،

أتقدّم بالشكر الجزيل إلى **سفارة جمهورية الصين الشعبية في لبنان**، وإلى **وزارة التجارة الصينية**، وإلى الجهات المنظّمة والأطقم الإدارية، وإلى **الشعب الصيني العظيم** الذي قدّم للعالم نموذجاً مضيئاً في العمل والمثابرة والتعاون الإنساني.

عالمٌ واحد، حلمٌ واحد

شكرًا لكم جميعاً